## الغرفة (207)

تحددت وجهتي إلى حيث تتربع الغرفة رقم **(207)** في الطابق العلوي من المبنى، المعروف **ب...(فندق زيلس ZELIS)**، وهي في كامل عنفوانها... وكامل حسنها، الذي زانته محتوياتها من الأثاث **(المنقّى)**، الأنيق المتجانس الألوان والأشكال، ومن خيرة الأنواع، التي تم اختيارها بعناية فائقة، ذاك الذي **(رصّه)** ونظّمه المهتمون بأمرها، إلى جانب ما احتوته من لوحات حائطية أبدع الرسامون في تجسيدها، فأخذت تنضح بجمال أخّاذ آسر.

يتوسط الغرفة سرير كبير **(دبل بيد)**، تم فرشه بخبرة ودراية تامة، يتقاسم الغرفة مع خزانة ملابس خشبية **(دولاب)**، وجهاز **(تلفاز)**، و **(شمعدان)**، و **(كومودينو)**، و **(تواليت، بمرآة زجاجية كبيرة)**، إلى جانب تلك الستائر التي كست حيطان الغرفة، فأضافت لها بعداً جمالياً آخر.

يقود مدخل الغرفة إلى صالة صغيرة، ارتمت بين أركانها أريكتا جلوس **(كرسيان)**، تتوسطهما منضدة صغيرة، تتيح للجالس عندها فرصة في أن يتجول ببصره في خارجها، عبر شرفات لا عيب فيها سوى أنها ساحرة أخّاذة، هناك في الخارج حيث الوداعة والهدوء، وحيث تفترق... وتتحد تلك الطرقات الإسفلتية، التي تتلوي كما **الأفعى**، ما بين تلك البنايات، ذات الطراز العربي القديم، الذي ساد وانتشر في كثير من **قرى ومدن البلاد الإسلامية**...

**فقد شاهدت مثل تلك الطرقات في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وفي جدة عروس البحر الأحمر، وفي دمشق أقدم مدينة في العالم، وفي الدار البيضاء زهرة الأطلسي، وفي طنجة بوابة الشمال، وفي فاس (ألما وراها ناس)، وفي صنعاء اليمن، وفي بريده حاضرة القصيم، وفي مدن وقرى كثيرة، ومواقع متعددة**

www.omerelammas.com

**مترامية، ساقتني أقداري إليها، توحي للناظر المتدبر أنها طراز يختص بالنمط العربي و الإسلامي فقط. وهو ما لم أشهده في غيرها من بلدان العالم التي زرتها.**

تتفاوت البنايات، التي تخللتها تلك الطرقات أو **(الدروب)**، كما تسمى لدينا في **السودان**، وكنا نضرب بها الأمثال **(زي المثل)** الذي **يقول:**

**(درب السلامة للحول قريب)**

ويعني ذلك:

**أنّ سلامة الوصول إلى نقطة ما.... هي الأهم... مهما كان (الدرب) الموصل إليها بعيداً.**

**و**

**(مسّاك دربين ضهّاب).**

**والضهاب** هو:

**ذلك الشخص كثير التوهان، الذي كثيراً ما يضل طريقه. وهو يتشابه و (صاحب البالين)، الذي يقول المثل فيه:**

**(صاحب بالين كضاب).**

وفي إسداء النصائح:

**(أمسك دربك عديل)**

www.omerelammas.com

وهو نوع من التحذير... أو قد يكون التهديد، الذي ربما يتبعه فعل غير محمود، من الطرف المحذر.

وقد وردت كلمة **(الدرب)** في الأغاني السودانية **زي:**

**(دربي أصبح... ماهو دربك).**

و

**(معاي ...معاي... في الدرب الطويل).**

واستخدم **(الدرب)** في **الفزورات (الغلوتيات) مثل:**

**(عمّي طويل ما بلحق الكعكول).**

**(الكعكُول)** "بفتح الكاف الأولى وضم الثانية" هو قطعة الصمغ التي تحملها فروع أو فريعات شجرة **(الهشاب) الشوكية، التي تنتج الصمغ العربي المعروف.** أما **(الدرب) الطويل،** الذي كني **ب...(عمّي)،** فهو يتمدد أفقياً... ولا يمكن استخدامه للحصول على ذلك **(الكعكول)،** مثلما يستخدم **السلم** كوسيلة...**عند الرغبة لصعود المواقع المرتفعة رأسياً.**

تتفاوت بنايات **(أصيلة)** في ارتفاعاتها، فهي ما بين طابق وطابقين، أغلبها شيد من اللبن **(الجالوص)** الفاخر، الذي غطي بالأسمنت، مما جعله يبدو أكثر صلابة وأناقة... **(يعني بقى أملس ونضيف)**...بينما تتعالى بعض البنايات الحديثة التي شيدت مؤخراً، على الطراز المعماري الحديث، والتي تميزت بالطرقات الواسعة المشجرة، والمزهرة التي لا تتشابه وتلك **الدروب (الملولوة)،** (بتسكين الواو الأولى

www.omerelamin.com

وفتح الثانية )، فهي طرقات تزينت بشتى أنواع وألوان الزهور... والنباتات الخضراء غير المزهرة، والشجيرات الصغيرة التي تنتظم المسافات ما بين تلك الطرقات.

توطد فينا الاهتمام **ب...(الدرب)** حتى صرنا نطلقه على بعضنا، **كتسمية أو كنية**، بدل الاسم الحقيقي، **وكمان في صيغة التصغير المحبب مثل:**

**(الدريب)**

وهو اسم جميل سهل النطق، يحمل من **الحنية والرقة واللطافة** ما يحمل، ويوحي بأهمية **(الدرب)** لدينا، خاصة في أوقات الخريف، عندما يصبح **(الدرب)** أمراً حتمياً، وذلك حينما كانت تتمدد في أوساط ديارنا، **(دروب) كثيرة متداخلة ومتعرجة،** جراء كثافة الشجيرات والحشائش، عندما كان للخضرة استحباباتها، ومقاماتها السامية لدى أهلي هناك، حيث يتوالى انسكاب الماء علينا، من النيل ومن السماء... في تواؤم متجانس متفرد...مما خلف لدينا بعض المساحات المائية المتعددة... **ومن أشهرها:**

**(ميعة البجا)**

التي تغطي معظم المساحة، التي تشغلها **(تروس أولاد ود الشيخ أحمد)**... التي أصبحت منطقة سكنية في السنوات الأخيرة .... وهي التي تربط **الحلة القديمة** مع **الحلة الجديدة.**

**ونحن نتابع الدروب ما بين:**

**الرقّاش... والفودة..**

www.omerelamnas.com

**والُلقد، وقوز النقارة..**

**والكدسة. والفاسد.**

**ومشروع التجاني.. والنقال....**

**ومشروع حاج أحمد.. ومشروع ود الحسن....**

**وغيرها من المواقع....**

**مثل: (شدرة) ود عرور و التومات.**

**أما (شدرة) (ود قريضة)، فكان دربها محلي...تعترضه بعض (زرايب الشوك)، المنتشرة في الحلة آنذاك.....**

**أخي وأستاذي/ الرفاعي المأمون (ود علي الشايقي)**، لقد أعجبتني تلك **(الكنية)** التي أشرت إليها أيّما إعجاب!

**فهل يا ترى تجد الاستحسان لديكم؟**
**ولدى إخوتي من أولاد عمنا (الدريب)؟**

من أشهر **(الدروب)** عندنا... هو **(درب النمل)**، الذي تم رسمه وتعبيده بتقنية عالية، تعاون فيها أفراد النمل جميعاً، فهي تسمح لكل أفراد المملكة بالتحرك، **جيئة وذهاباً**، محملين أو غير محملين بالمواد الغذائية والأوشاب وغيرها من متطلبات الحياة، في سهولة ويسر، ومن غير عوائق تذكر....

www.omerelamnas.com

وعلى ذكر النمل ودروبه، جاء في القصص المدرسي في العقود الفائتة، **بمرحلة التعليم الأولي**، أن أحد **السلاطين** عرض جائزة لمن يحكى له قصة بلا نهاية... ومن لا يحالفه الحظ من المتقدمين، وينجح في تلك المهمة... فسوف يكون مصيره الموت لا محالة....

**(تقدم كثير من الحكاة بقصصهم، ففشلوا ... وماتوا)!**

لكن أحدهم انبرى للأمر وبدأ يحكي **قصته التي تقول:**

إنّ مملكة من ممالك **النمل**... اكتشفت أحد مخازن **الذرة** في موقع ما، وبدأت على التو في نقل الحبوب إلى خارجه، متوجهة بها إلى أجحارها، حيث أقام بيوته المحمية تماماً، واستمر يروي... ويروي، إلى أن وصل به **القول:**

**دخلت نملة وأخذت حبة وخرجت...**
**ثم دخلت نملة وأخذت حبه وخرجت.**

**ودخلت نملة وأخذت حبة وخرجت...**
**ثم دخلت نملة وأخذت حبة وخرجت.**

وهكذا استمر في تكرار العبارة حتى سئم **السلطان**، فاستحثه على الوصول للنهاية لكن الحاكي بادره:

**(إنّ النمل كثير يامولاي! والذرة أكثرمنه عدداً...!**
**فأرجو الصبر عليّ... حتى أُكمل ما نقله النمل من حبات الذرة)!**

www.omerelamnas.com

استمر **(الحكي)** وتتابع عبارات القصة المكررة، إلى أن سئم **السلطان** ودب النعاس إلى عينيه...فاحتار في أمره.

**(لكني قطعاً... لا أجزم إن كان الحاكي قد تسلم الجائزة...**
**أم تسلم روحه عزرائيل جراء فعلته تلك)؟**

ولنا مع الدروب عودة... فهناك **أيضاً (درب الأربعين)** الشهير في غرب **السودان**، وهو من الطرق البرية التي كانت معبراً تجارياً هاماً، في حقبة من الحقب الماضية، والذي يعتبر الرابط الرئيس... بين المناطق المتعددة داخل الوطن، وبين بعض الدول المجاورة.

ومن مشاهير رجالات الدين، **وكرماء القوم...من أطلق عليه:**

**(عوج الدرب)**

وتأتي هذه التسمية... في غالب الأحيان، من مفارقة المسافرين لمساراتهم وتنقلاتهم، عبر **(الدروب)** الرئيسة التي اعتادوها، من أجل الاستراحة والاستجمام... مما خلفته وعثاء السفر لديهم.... فقصدوا أن يكونوا أضيافاً، في دار ذلك **الشيخ الكريم**... حيث الحفاوة وحسن الضيافة، بما يتخللها من مأكل.. ومشرب.. ومنام، فأصبحت **كنية** ذلك الرجل الكريم...

**(عوج الدرب)**

أي أنه استطاع تعديل مسار **(الدرب)**، بما توافر لديه من خصال حميدة، وكرم فياض، آناء إيوائه لأولئك العابرين من الركبان.

www.omerelammas.com

أما **(اللعوج)** فهو المكان الذي يتربع في المسافة ما بين **ديارنا والخرطوم**، وكثيراً ما يتساءل الركاب داخل المركبات السفرية (الباصات أو"الباظات" كما يروق للبعض نطقها، أو الحافلات بأنواعها)...ويقولون:

**(يا جماعة... وصلنا "اللعوج" ولا لسه؟)**

كان السؤال تقليدياً، وكان مبعثه الخوف ولا غيره، عند المرور بتلك البقعة من الأرض... لكثرة ما حدث فيها من حوادث مرورية متفاوتة... أدت إلى إزهاق أرواح كثير من الكبار والصغار.

لقد زعم البعض أن هناك **(شيطاناً)** يسكن في ذلك الموقع...يتمثل ويتشكل، في كثيرٍ من الأحيان، بالدواب... **كالحمير والجمال** وغيرها، مما يجعل سائق المركبة **(يلاوز)**، مما يدفعه للسقوط ومن معه في الفخ، حيث تتأرجح المركبة ذات اليمين وذات الشمال وتصبح عملية وزنها **(استعدالها)** من أكبر المستحيلات....

يصبح الموت بذلك من النتائج الحتمية لبعض **(الركاب)**، أما **(الكسور)** و**(الظليت)** و**(الخربشة)** و**(الرديخ)**... فتعتبر من المصائب الخفيفة، التي تستبدل فيها عبارة **(الفاتحة)** المدعومة برفع الكفين إلى أعلى، بعبارة **(حمد اللا على السلامة)**...

**أما بن خالي الخيّر الشهيد (عبد القادر عوض الله) الشهير ب..(الضريس)، فلم يقدر لنا الله سبحانه وتعالى...ذلك الاستبدال... بل قرأنا على روحه الطاهرة (الفاتحة) كلها، باكين وضارعين بذلك، لرحمة من الله عليه، وداعين لحسن قبوله عنده.**

www.omerelarmas.com

ذكرني **(اللعوج)** عندنا **ب...(أعوج يورتسودان)**، المتمثل في **(العقبة)** تلك التي تنطق (بتخفيف القاف)، والتي أودت بروح أخينا الشاب...**(الطيب ود المقدم حسن ود المادح)** الملقب **ب...(أريل)**، عندما أصاب السيارة التي يستقلها وثلاثة من زملائه، ذلك الخلل المتعلق بالكوابح **(الفرامل)**، الذي أدى إلى انشطارها نصفين، من هول الاصطدام بالصخور التي تحف الطريق من الجانبين، علاوة على الانحدار الذي يقود سريعاً إلى قاع الوادي، فخلف:

**(الموت... والكسور... والظليت... والرديخ)** فيهم جميعاً.

**هممت** بالنزول من الغرفة رقم **(207)** التي كتب على بابها بخط جميل... مقروء من على البعد....

**(غرفة الأديب والروائي العالمي الطيب صالح)**

انزلقت إلى الأسفل، وقادني من طوّف بي بين تلك البنايات، عبر تلك **(الدروب)** الإسفلتية الملتوية، التي جعلت من مدينة **(أصيلة)** المغربية، نمطاً وطرازاً أدبياً حياً، ذلك لأني كنت أتلمس آثار أقدام ذلك **الأديب والروائي الفذ**، الذي اعتاد أن يتجول هناك، ما بين الفينة والأخرى، من موقع لآخر في **تواضع العلماء الجم**... منقطع النظير، كما أشار مرافقي المغربي.....والذي قال لي:

**(إنّ الطيب رجل طيّب... فهو اسم على مسمى!)**.

كان **الطيب** يتناجى وخطواته... ماراً أمام تلك **الحديقة**، اليانعة المتزينة بألوان الزهور... المتفاوتة في جمالها.. ونسقها.. وتدافعها.. مشرئبة عالقة بتلك النسمات الباردات، المشبعة من ذلك الرزاز الخفيف.. المتقاطر.. في تداعٍ لطيف، هي ذاتها **الحديقة** التي سميت.. بعد رحيل **الأديب والروائي العالمي ب...**

www.omerelammas.com

**(حديقة الطيب صالح)**

**ما أوفاكم يا مغاربة! وما أصدقكم فيما تكنونه وتدخرونه! من نبض إنساني.. وارفة ظلاله.. وندية أياديه الصديقة.. الصادقة!**

تستلقي مدينة **(أصيلة)** الوادعة، متوسدة ما جمُل من روعة الساحل الشرقي ل...**(الأطلسي)**، الذي كساها جمالاً.. وصفاءً.. وبريقاً، جعلني أردد وأقول **لنفسي:**

**(ياربي دي "كرمه كول" ثانية ولا شنو؟**
**جالوص و خُدرة و موية؟)**

استناداً على ما التقطته من معلومات، تناثرت أمامي من أفواه الرواة، من منسوبي فندق **(زيلس)**، ومن أصدقاء الأديب اللصيقين به، أن ازدهار المدينة وتحولها من قرية كان يقطنها حوالي (17000) شخص، إلى مدينة متحضرة أصبح عدد ساكنيها في العام 2012م ما تراوح أكثر من(35000) نسمة، كان للأديب والروائي **(الطيب صالح)** اليد الطولى، حيث أنه استثار معارفه من أصحاب القرار بإنشاء **ما سمي:**

**(مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية)**

الذي أصبح منبراً لإقامة المهرجان السنوي، الذي يجتمع فيه الأدباء العرب، من شتى البقاع العربية ومن بينهم **(الطيب صالح).**

www.omerelamnas.com

**شيّد المركز على طراز حضاري مغربي، بديع... مزانٍ بكل ما توافر من الزخرف، والنقوش، والمقومات الجمالية المتنوعة، فهو يحتوي على قاعات واسعة، تتسع للأعداد المهولة من الوافدين للمركز أيام إقامة المهرجان، إلى جانب الصالات المتعددة، والمعارض الثقافية... والتراثية، ومكاتب الوحدات الإدارية، وغير ذلك من المرافق الهامة المتعلقة بماهية المركز.**

ما بين **الساحل**... وزوايا وأركان بنايات **السوق**.. القروي الصغير، **وقهوة (القصبة)**، حيث تسنى لي تناول كوبٍ دافئٍ من الشاي المغربي.... كانت تقودني قدماي، مسترشداً بما تركه **الأديب الكبير**... من أثر لأقدامه **(غير ظاهرٍ)** على تلك **(الدروب)**، فلعل القدر يسوق أقدامي الحيرى، فتلمس موضعاً من أثر **(غير ظاهرٍ)** لأقدام **أديبنا الراحل**...

فاستوحيت عندها قول **(السيّاب)**:

***وقبلت حتى البهم....***
***لما رأيتها،***
***تقبل تلك البهم....***
***قبلة ثائر،***

***فقد أهتدي....***
***في قبلة إثر قبلة،***
***على أثر من ثغرها....***
***غير ظاهر.***

www.omerelammas.com

شوهد ذلك عندما كان يرعى غنمه برفقة بعض من الفتيات الصغار، والذي لم يتجرأ وتسعفه شجاعته، أن يجالسهن نسبة لحيائه الذي بلغ به حد الانطواء، أبعده عن النساء... بعد أن فقد آخرهن... وهي أمه وهو لا يزال طفلاً....

***أماه ليتك لم تغيبي...***
***خلف سور من حجار،***

***لا باب فيه لكي أدق...***
***ولا نوافذ في الجدار.***

كان **(السيّاب)** يعمد بعد مغادرة **الفتيات** من الرعاة، إلى إحدى ألبهم **(سخيلة)**، من تلك التي كانت تداعبها إحداهن...وتطبع على جسدها بعضاً من القبلات...**وينشأ يشبعها تقبيلاً**... باحثاً عما يكون قد انطبع من أثر.. **غير ظاهر**.. لثغر الفتاة، جراء تقبيلها تلك **(السخيلة)**.

***فقد أقتدي في قبلة إثر قبلة....***
***على أثر من ثغرها غير ظاهر.***

قادتني آثار أقدام **(الطيب صالح)** إلى الساحل... حيث تيارات لطيفة، من هواء بارد.. كاد أن يطيح **ب...(طاقيتي) المغربية**، التي ألفتُها منذ أن رأيتها تعتلي هامة **الرجل العملاق...**

امتد البحر أمامي إلى ما لا نهاية...! حيث موقع انحسار البصر، تتكسر أمواجه من أمامي.. فيشتعل سطح مائه **شيباً**... لما يخلّفه من **زبد** و **(رغوة)**... والذي يزداد سواده عمقاً، كلما تطاول النظر إلى المنتأى والتباعد، **حيث ينغمس طرف السماء في ماء المحيط.. الذي أصبح داكناً متمادياً في السواد.**

www.omerelammas.com

لقد لمست وعرفت في تلك اللحظات كم كان **(الطيب صالح)** محقاً... في تردده على **(أصيلة)** وربوعها، التي مكنته من مناجاة ذاته بروية وعمق مستحبين.

لقد شعرت ساعتها... وأنا أُهوِّم بناظري... في تلك المساحات **المائية المتمددة** أنّ :

**(جسمي خف...).**

**و**

**(استراحت أوصالي).**

**و**

**(فارقتني همومي).**

**و**

**(كأني ولدت من جديد)**

**وبمعنى آخر:**

**"RELAXED"**

www.omerelaimas.com

اكتفيت بأنّ **أصيلة (المدينة)** هي **(أصيلة الملهمة)**...وباعثة الأمل في الذات... وهي التي أضافت لي الكثير، مما لم يرد بخلدي من قبل، فهي **تجمَّع من:**

**(أرضٍ..**
**و سماءٍ..**

**وماءٍ..**
**وهواءٍ..**

**وأناسٍ..**
**أوفياء..)**

**إنه تجمَّع "يرد الروح....ويطيب الخاطر".**

www.omerelammas.com

www.omerelammas.com